

منعة القوات المسلحة

المكان: طهران

الزمان: 1389/1/22 هـ ش - 1431/4/24 هـ ق - 2010/4/11 م

الحضور: رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة وجمعا من كبار القادة العسكريين

4321

أبارك لكم أيها الإخوة الأعزاء عيد النوروز وإطلالة الربيع - الذي هو فصل اللطافة والبهجة وتجديد الحياة - أتم الذين تضعون على عاتقكم حملاً ثقيلاً، ونحن شهود مساعيكم ومشقاتكم وجهودكم الكبيرة في القطاعات المختلفة والمرتبطة بكم. إن شاء الله يتقبل الله منكم جميعاً هذه الجهود، ويوفّقكم حتى تتمكنوا - مثلما أعلنت هذه السنة لشعب إيران - بالهمة المضاعفة أضعافاً عديدة وكذلك بالعمل والسعي المضاعف أضعافاً عديدة أن تفتتحو الميزان من الميادين الرحبة، وتوصلوا القوات المسلحة للجمهورية الإسلامية في واقع الأمر إلى المقام الذي يليق بهذا النظام وينسجم مع أفراد مؤمنين وصادقين وخدميين أمثالكم.

في الواقع إن من نعم الله الكبرى في هذا الزمان على القوات المسلحة وجود مسؤولين صادقين وحريصين؛ فهذا في الواقع ما ينبغي أن نعدّه نعمةً كبرى توجب الشكر. إن هذه الظاهرة التي بانت بنفسها في نظام الجمهورية الإسلامية وتجلت في مرحلة الدفاع المقدّس وتبلورت، ظاهرة «اعتبار الذات تابعة للهدف، لا أن الهدف تابع للذات».

هي ظاهرة مهمة جداً؛ وهي بحق مورد الشكر. لا يعني هذا أننا لا ولم نعان من أشخاص مشوبين في كل هذه المراحل؛ ففي المحصلة، هناك مختلف أنواع الروحانيات والأخلاقيات في جميع الطبقات والشرائح والأفراد؛ لكن الأغلبية هي ما ذكرت. إنني عندما أنظر إلى القادة الأعزّاء - وهم أنتم - فإنني أشكر الله تعالى حقاً حيث تفضّل على هذا الشعب وجعل على رأس هذه الأعمال الكبرى مثل هذه العناصر المؤمنة والمخلصة.

حسناً، أنتم الذين ينبغي شكركم نعمة الله علينا، وعلينا أن نشكر الله أن جعل هذا التوفيق وهذه الفرصة من نصيبكم حتى تقوموا بهذه الأعمال المهمة. فنحن جميعاً - أنا وأنتم وكل واحد منا، فرداً فرداً - كان بإمكاننا أن نكون أشخاصاً فاعلين في حياتنا الخاصة؛ تاجرٌ جيد، شيخٌ صالح، جامعيٌ طيب، نسعى لأنفسنا ومصالحنا الشخصية دون أن نحمل عند الله تعالى وزراً؛ فما نقوم به من عمل من الممكن جداً أن يكون فيه وزرٌ ووبال، فعلى عاتقنا حملٌ ثقيل؛ ومثل هذا ليس لازماً، لأن كل واحد منا كان بإمكانه أن ينصرف إلى حياة عادية، ولكن ما كان له مثل هذا الدور المحوري الذي تمثلونه اليوم في بلدكم ونظامكم. فلهذا نشكر أنكم جعلتم في محلٍ يمكن أن تكونوا فيه أصحاب دورٍ أساسي. فحضوركم وإرادتكم وعرفانكم ودرجة إخلاصكم تترك بصماتها على مصير هذا البلد، في تاريخه، وفي مستقبل هذا الشعب ليس على صعيد عشر أو عشرين سنة بل لقرنٍ أو قرنين. بحيث أنه لو كان

أثراً حسناً فإن هذه الصدقة الجارية ستكون حينها أفضل من جميع الأشياء ولا يعدلها شيء.

فأنتم تستطيعون أن تشقوا طريقاً، وتنجزوا عملاً ينعم الشعب على أساسه لسنوات متمادية على صعيد الدين والدنيا؛ فهو أمرٌ لا يمكن أن تعدله أية عبادةٍ أو صلاةٍ ليل أو خدمةٍ متوسطةٍ أو عاديةٍ تقدّم لخلق الله؛ فهو أمرٌ أسمى من ذلك بكثير. لقد أعطانا الله هذه الفرصة، أنا وأنتم؛ فعلينا أن نكون شاكرين. غاية الأمر أنه كغيره من الأعمال الكبرى حيث تكون الغنيمة فيها كثيرةً. فإن الغرامة فيها ثقيلةٌ وخطرة، «من له الغنم فعليه الغرم»، فهما أمران متبادلان؛ مثل الصعود لتسلّق الجبال. لو سقط الإنسان من الأعلى فخطره أكبر بكثير من أن يسقط على سبيل المثال من على ارتفاع متر أو مترين، ولكن حسناً فذاك المكان هو المرتفع العالي. وكلّما كان المقام أعلى كان الخطر أكبر. وإن السبيل للوقوف في وجه هذه الأخطار هو ملاحظة التكليف ومجاهدة هوى النفس. فليس الأمر بحيث أن الإنسان موضوع ضمن مجموعة من الإبهامات دون أن يعرف ماذا يفعل؛ كلا، بل إنّ عليه مخالفة ومجاهدة أهواء النفس المخالفة للشرع والدين ومتابعة التكليف والواجب دوماً. فلو سلكتم هذا الطريق - وهو ليس خطأ سهلاً - نعلم ماذا ينبغي أن نفعل. لهذا، برأيي، أن من الأعمال التي ينبغي أن يقوم بها مثلي ومثلكم أن تتوجّه إلى الله بالطلب ونقول: إلهنا! لا تبدّل هذه النعمة التي حبوتنا بها - وهي فرصة التواجد في محلٍّ مؤثر على صعيد مصير البلد والشعب - إلى نقمة؛ فلا

تجعل ما يوجب الأجر موجباً للوزر. ولا شك بأن هذا مرتبطٌ بسعيينا. فلنستمد من الله العون، نقوي الهمة وسوف يتحقق.

القوات المسلحة بحسب كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، هم حصون هذه الأمة والبلاد. والحصن ينبغي أن يكون قائماً دوماً ولا يُخترق؛ لهذا يجب على القوات المسلحة أن تحافظ دوماً على ثباتها. ففي داخل الحصن تقع أحداثٌ وظروفٌ مختلفة؛ فالبعض نائمون وآخرون مستيقظون، البعض يتنازعون ومنهم من هو مشغولٌ بزفاهه وآخر بعزائه؛ ولكن هذا الحصن ينبغي أن يبقى في جميع هذه الحالات منيعاً. فانظروا بهذه العين إلى القوات المسلحة. فيجب أن تبقى هذه المناعة دوماً. فلو وُجد هذا الاستحكام، وقام الحراس المتواجدون عليه بمهمتهم وحافظوا على يقظتهم وحذرهم ورصدوا تحركات العدو ولم يغفلوا عن أية زاوية فإن الأمن داخل الحصن سيبقى مستتباً؛ وفي ظل هذا الأمن يمكن للناس أن ينالوا دينهم ودنياهم. وهذا ما لا يمكن بدون هذا الأمن. فالحفاظ على منعة القوات المسلحة هو أصلٌ دينيٌ لا يمكن الغض عنه. فعلى الجميع أن يكونوا متبهيين، القوات المسلحة نفسها، الحكومات المتعاقبة وعلى الشعب أن يقدم الدعم. فهذا الحصن ينبغي أن يكون منيعاً. ففي جميع الحالات ومهما حدث في داخله، فإن حصن القوات المسلحة ينبغي أن يبقى محفوظاً.

حسناً، إن هذا تشبيهٌ للمعقول بالمحسوس. فللحصن في كل مكان معنى. فأنتم حصونٌ؛ الجيش حصنٌ من جهة، والحرس حصنٌ من جهة أخرى، وكذلك التعبئة، والقوى الأمنية، وحماية المخابرات؛ فعلى الجميع في

تلك المسؤوليات المعيّنة لهم أن يلتفتوا إلى تلك الجهة المتعلقة بهم في الحصن وإلى ضرورة الحفاظ عليها.

إنّ العالم هو عالمُ التسلط والظلم. فالدنيا سيئة، دنيا الجاهلية، دنيا يتحكّم فيها أتباع الشهوات والتسلط بأكثر سكّان العالم. ففي مثل هذا العالم ينبغي الانتباه كثيراً والحذر أكثر والعمل بحنكةٍ وتدبيرٍ وشجاعة. أنتم تشاهدون سلوك زعماء هذه الدنيا، فلأجل أطماعهم وجشعهم ودعمهم للشركات التي تؤيّدهم، لأجل ملء جيوب أصحاب الشركات والرأسماليين، أنظروا أية فجائع تحدث في العالم؛ وتحت عنوان حسن وشعارات فارغة وكاذبة يدقّون طبول الحرب ويأتون على ذكر السّلام ويقفون تحت يافطات السّلام. وهم لا يعطون أي اعتبار أو حق للإنسانية والبشرية. لكنهم يقفون تحت يافطات حقوق الإنسان؛ هم أهل العدوان، والاعتداء من سياساتهم العملية الأساسية، ويدّعون الوقوف بوجه العدوان؛ في سياساتهم وسلوكهم يستعملون جميع الأساليب القذرة ويستفيدون منها؛ يستعملون الاغتيال وينشؤون منظمات للاغتيالات ويستخدمون شركات إرهابية - وهي من الأمور التي اتّضحت للجميع في عالم اليوم - وأنتم قد لاحظتم نموذج هذا الأمر في العراق وتلاحظون ذلك في أفغانستان؛ وقد شاهدتم ذلك في الأماكن التي قاموا فيها بالانقلابات، ورأيتم تلك الاعتداءات على الدول؛ هذا في نفس الوقت الذي يظهرون بمظهر الهدوء والأناقة (بثياب مكويّة وعطر فوّاح) وتعابير رائقة أمام أعين الناس وكرئيس لهذه الدولة أو تلك، يتلاعب بالرأي العام ويخادع وهو في أصل عمله مبنيٌّ على الخداع. هذا هو العالم، عالمٌ قائمٌ على الكذب والخداع والظلم المقنع؛ وإن كان يحدث أحياناً أن تنكشف هذه الأقنعة. فأحياناً يسلبهم الغرور والاعتماد على أركان القدرة الواهية

الموجودة بأيديهم الاختيار، فإذا به شيء آخر؛ فقبل عدة أيام هدّد رئيس أمريكا ملوحاً باستعمال السلاح النووي! وهذا كلامٌ عجيبٌ جداً؛ ولا ينبغي أن يمرّ العالم على هذا الكلام وكأنه لم يصدر. ففي القرن الواحد والعشرين، عصر كل هذه الإدعاءات للسلام وحقوق الإنسان والمنظمات الدولية والمنظمات ومواجهة الإرهاب وأمثالها، يأتي رئيس دولةٍ ليهدد بهجوم نووي! فهذا كلامٌ غريب في مثل هذا العالم.

إن هذا يعود عليهم بالخسارة وهم لا يفهمون، فإن معناه الواضح أن دولة أمريكا هي دولةٌ شريرةٌ لا يمكن الثقة بها. فهم يسعون منذ عدة سنوات في ملفّنا النووي أن يثبتوا أن الجمهورية الإسلامية لا يمكن الثقة بها؛ في حين أن الجمهورية الإسلامية وطوال هذه السنوات الثلاثين لم تهجم على أية دولة، لم تبادر بالهجوم على أي مكان، ولم تحضن الإرهاب. فهم يريدون أن يقولوا أن الجمهورية الإسلامية لا يمكن الثقة بها. حسناً من هو الذي لا يمكن الثقة به في العالم؟ هؤلاء الذين يمتلكون الأسلحة النووية، لا يخجلون أن يقولوا أنه يمكنهم استعمال السلاح النووي أو سوف يستعملونه. فهذا كلامٌ عجيب وهو فضيحةٌ لهم.

في هذا العالم يجب الحذر كثيراً، ولا شك بأنّ مواجهة هذا الظلم والجور المقنّع وغير المقنّع وبكل أشكاله لا ينحصر بالاستعدادات العسكرية؛ فما هو أهم من الجهوزية العسكرية الجهوزية المعنوية؛ الجهوزية الروحية؛ قوة العزم الشعبية؛ قدرة صمود شعب قادر أن يقف مقابل هذه الأعاصير. فالإعصار يأتي ويذهب؛ فمهما كانت قوّته، فإنّه يأتي وينتهي؛ فالمهم هو هل يوجد قدرة أم لا في مواجهة الإعصار. إن مشكلة الأبنية التي تنهار، هي

أنها لا تتمكّن من الثبات حيث أنّ الإعصار لا يدوم. فلو شدّ شعبٌ ما عضده وأعطى لنفسه قوّة الصمود وثبتّ قدمه في الأرض، فإنّ هذه الأعاصير لن تفعل شيئاً، فهي تقبل وتدبر؛ وهم زائلون وهذا الشعب باقٍ.

فقوّة وثبات أي نظام يعتمد على هذه الأمور: الإيمان، القدرة على الصمود، العزم الراسخ، عدم الانخداع بالعبارات المعسولة الممتزجة بالمجاملات التي يتمّ استخدامها في بعض الحالات بسهولة بين المقامات السياسية؛ في حين أنه وراء هذه الألفاظ الوداعة وجوهٌ قاسية وحقوقه مليئة بالنوايا السيئة. وأمثلتها في زماننا هذا إلى ما شاء الله، ففي هذه العقود الأخيرة شاهدنا الكثير منها؛ فيما يتعلّق بغيرنا من البلدان المختلفة وفيما يتعلّق بنا. فالحنكة وعدم الانخداع، والثقة بالنفس والثقة بالله وتقوية قوة الصمود في النفس، والاعتقاد بإمكانية أن نكون أقوىاء وصامدين؛ هذه كلّها مما يحفظ الشعوب.

لحسن الحظ فإن أرضية هذه الأمور متوفّرة لنا.. ثلاثون سنة والأعاصير المختلفة تأتي وتذهب، وهذا الشعب ثابتٌ، صامد، والثورة تشتد صلابةً. فنحن اليوم أقوى بكثير مما كنا عليه قبل عشر سنوات أو عشرين سنة أو ثلاثين سنة. فقدراتنا اليوم هي أكبر بكثير في جميع المجالات؛ وقد أظهرنا هذا الأمر في مواجهة جميع أنواع العداوات، وقد أظهر شعبنا بفضل الله وتوفيقه هذا الأمر أيضاً. فهكذا تكون القدرة الأساسية. ولكن كما ذكرنا لا ينبغي أن نسمح باختراق هذا الحصن. أجل إن هذا الشعب صامدٌ وثابتٌ داخله، ولكن الحصن - أي القوآت المسلّحة - يجب حفظ منعه.. أولاً، على

القوّات المسلّحة أن تأخذ هذا التهديد على محمل الجدّ؛ لقد ذكرت هذا مراراً. فأنتم في تحليلاتكم لا ينبغي أن تعملوا وفق التحليلات السياسية. فالمحلل السياسي يقول مثلاً أن احتمال حصول هجوم للعدو ضعيف؛ احتمالٌ يبلغ 20 أو 30٪؛ أما أنتم فعليكم أن تقولوا أن هذا الاحتمال 100٪. وعليكم أن تحققوا هذه الجهوزية لأنفسكم على الأساس المذكور في جميع القطاعات. فعليكم أن تبقوا على يقظةٍ دائمة.

برأيي يجب أخذ قضية المشاريع الإبداعية على محمل كثير الجدّ. ولحسن الحظ هذا موجودٌ في القوّات المسلّحة. وككومةٍ من الاستعدادات التي لا يستخدم منها سوى طبقة واحدة مع إهمال الطبقات الأعمق، هكذا هو شعبنا. فالإنسان كان يشعر في الواقع ويرى في بداية الثورة، على صعيد القطاعات المختلفة أنه كان يُستفاد بمقدار قليل من هذه الاستعدادات الفكرية والمهارات الموجودة. وقد أدّت الثورة إلى انبعاث حركةٍ؛ في القطاعات العلمية والتقنية وفي قطاعات البناء والمجالات الثقافية والسياسية وغيرها تفتحت الاستعدادات وأزهرت. فمن هذه المجموعة المتراكمة طبقات طبقات، تمّ استخدام المزيد من الطبقات؛ وقد علّمتنا التجارب أن استعداداتنا عظيمةٌ جداً.

فاتّجهوا نحو الأعمال الإبداعية، نحو تلك الأشياء التي لم يختبرها العالم أو يجربها؛ في الخطط العسكرية والأمنية (المخابراتية)، في كيفية مواجهة العدو؛ في نوعية الخداع وأشكال التدابير؛ فهذه أعمالٌ مهمّة. وبالخصوص أوكد على نوعية تنظيم القوّات المسلّحة. ولحسن الحظ فإن الحرس وكذلك

الجيش قد تقدّموا على هذا الصراط وهم في حال من التفكير والسعي. فقد كان هناك إبداع في التنظيم التقليدي إلى يومنا هذا - في الحرس على شاكلة وفي الجيش بشكل آخر - فاتجهوا نحو الأعمال الإبداعية. ولا شك أن ليس كل عمل جديد هو أمر مطلوب. فما هو مطلوب هو الإنجاز الجديد المتلائم مع دقة الملاحظة والتجربة. كونوا بصدد الأعمال الإبداعية؛ مثلما كان هذا الأمر إلى اليوم على صعيد القطاعات المختلفة للقوات المسلّحة؛ فجهاد الاكتفاء الذاتي للجيش يُعدّ من النماذج، وكم قد أنجز من أعمال عظيمة منذ ثلاثين سنة! وفي الحرس هناك مساعٍ متعددة وكثيرة في هذه المجالات. الحمد لله إن يدنا لا تخلو من تجارب مؤمّلة وباعثة على التفاؤل. يشاهد الإنسان أعمالاً كبيرة تُنجز.

هذه هي مطالبنا. إن شاء الله تكون كل هذه الأشياء التي ذكرناها أو غفلنا عن ذكرها وهي من آمياتنا، في برامجكم وتحقق في أعمالكم وتبلور وتظهر. حسناً، كل هذه الأمور لها روح واحد وهو عبارة عن المعنويات والبصيرة الدينية وتعميق العقائد الدينية؛ وهي تتجلّى في عمل إخواننا الطيبين والفاعلين والكادحين في وحدة العقيدة والسياسة بنحو وفي ممثلات الولي الفقيه في الحرس والأماكن الأخرى بنحو آخر. هؤلاء الإخوة عليهم أن يُعملوا قضية الأولويات هذه والإبداعات والطرق الجديدة والهمة المضاعفة حتى نكون إن شاء الله ملازمين يوماً بعد يوم للمظاهر الدينية والعمق العملي والإعتقادي في القوّات المسلّحة بشكل أكثر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته